**الأستاذة: أنيسة بن جاب الله**

**المحاضرة الثامنة: قضية اللفظ والمعنى عند النقاد المشارقة**

**تمهيد**

أثار الشعر العربي، بما ينطوي عليه من خصائص فنية وجمالية، اهتمام النقاد الذين سعوا إلى الكشف عن أسرار بنائه وتحديد العناصر التي تتحقق بها جودته. ولعل من أبرز القضايا التي شغلت التفكير النقدي القديم قضية اللفظ والمعنى، باعتبارهما مكوّنين أساسيين في تشكيل النص الشعري؛ إذ لا يتجسد المعنى إلا من خلال ألفاظ تؤديه، ولا تكتسب الألفاظ قيمتها الفنية إلا بما تحمله من دلالات وما تقيمه من علاقات داخل النص.

وقد ارتبطت البدايات الأولى للنقاش حول هذه القضية بالبحث في إعجاز القرآن الكريم، وما أثاره من تساؤلات حول موضع الإعجاز، أهو في الألفاظ أم في المعاني أم في طريقة التأليف والنظم؟ ثم امتد هذا النقاش إلى الشعر، فأصبح النقاد يبحثون في أساس المزية الشعرية، ويتساءلون عن العنصر الذي يمنح النص جماله وتميزه: أهو جودة الألفاظ وحسن الصياغة، أم شرف المعاني وقوتها، أم التناسب بينهما؟

وقد أفرز هذا النقاش ثلاثة اتجاهات أساسية في النقد المشرقي؛ اتجاه دعا إلى أولوية اللفظ وجعل المزية في جودة الصياغة، واتجاه أكد أهمية المعنى وقيمته في تحقيق التفوق الشعري، واتجاه ثالث قام على التكامل بين اللفظ والمعنى، ورأى أن جودة الشعر لا تتحقق إلا باجتماعهما وتناسبهما.

**أولًا: الاتجاه الداعي إلى أولوية اللفظ في بناء الشعر**

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن المزية الشعرية تتحقق أساسًا من خلال جودة الصياغة اللفظية، وحسن اختيار الكلمات، وإحكام التراكيب، وجمال التأليف. فالمعاني، في نظرهم، مشتركة بين الناس، ولا يتفاضل الشعراء بمجرد امتلاكها، وإنما يتفاضلون بالطريقة التي يعبرون بها عنها، وبقدرتهم على تحويل المعاني المألوفة إلى صور فنية متميزة.

**1. الجاحظ: المزية الشعرية في جودة الصياغة وحسن السبك**

يُعدّ الجاحظ من أبرز النقاد الذين أكدوا أهمية الصياغة اللفظية في تحقيق القيمة الفنية للشعر، إذ يرى أن المعاني متاحة ومتداولة، وأن موضع التفاضل يكمن في طريقة التعبير عنها. وفي هذا السياق يقول: **«المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير» .**

يكشف هذا القول عن تصور الجاحظ لطبيعة الإبداع الشعري؛ فالمعاني في ذاتها ليست حكرًا على شاعر دون آخر، وإنما تتداولها الأذهان وتتكرر في التجارب الإنسانية، غير أن الشاعر المبدع هو الذي يستطيع أن يمنحها صورة فنية متميزة من خلال انتقاء الألفاظ وإحكام بنائها. ولذلك شبّه الشعر بالصناعة والنسج والتصوير، وهي تشبيهات تبرز دور الصنعة الفنية في تشكيل المعنى وإخراجه في صورة جمالية مؤثرة.

فالشاعر، وفق هذا التصور، لا يتميز بما يعرفه من معانٍ فحسب، وإنما بما يمتلكه من قدرة على التعبير عنها، وتحقيق الانسجام بين الألفاظ، وإقامة الوزن، وجودة السبك. ومن هنا تتحدد قيمة الشعر في حسن الصياغة وبراعة التأليف.

ولا يعني اهتمام الجاحظ باللفظ إلغاء قيمة المعنى، وإنما ينصرف إلى إبراز دور الصياغة في تحويل المعنى المشترك إلى تعبير أدبي متفرد؛ فالمعنى قد يكون مألوفًا، لكن طريقة بنائه وتقديمه هي التي تمنحه خصوصيته الجمالية.

**2.أبو هلال العسكري: جمال التعبير في صفاء اللفظ وإحكام التركيب**

وافق أبو هلال العسكري الجاحظ في تأكيد أهمية اللفظ وحسن السبك، إذ جعل مدار التفوق الأدبي في جودة التعبير وصفائه، يقول: «**وليس الشأن في إيراد المعاني، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه ونقائه وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السبك والتركيب.**»

يتضح من هذا النص أن أبا هلال العسكري يجعل التفوق الأدبي مرتبطًا بخصائص التعبير اللفظي، فلا تكمن القيمة في مجرد إيراد المعنى، وإنما في الطريقة التي يُصاغ بها ويُقدَّم للمتلقي. كما أن حديثه عن صحة السبك والتركيب يدل على أن جودة اللفظ لا تنحصر في جمال الكلمة منفردة، بل تشمل انتظام الكلمات وتآلفها داخل البناء الشعري.

وعليه، فإن هذا الاتجاه يمنح الصياغة اللفظية الأولوية في تحقيق المزية الفنية، لأن المعاني قد تتشابه بين الشعراء، بينما تختلف طرائق التعبير عنها وتتفاوت في الجودة والجمال.

**ثانيًا: الاتجاه الداعي إلى أولوية المعنى في بناء الشعر**

في مقابل الاتجاه الذي جعل المزية في جودة الصياغة، ظهر اتجاه آخر أكد أهمية المعنى، ورأى أن قيمة الشعر لا تتحقق بجمال الألفاظ وحده، بل بما تتضمنه من أفكار ودلالات. فالألفاظ، مهما بلغت من الحسن والعذوبة، تظل محدودة القيمة إذا لم تحمل معنى جيدًا أو فكرة تستحق التعبير عنها.

**1.أبو عمرو الشيباني: استحسان المعنى وتقديم قيمته**

يُذكر أبو عمرو الشيباني ضمن النقاد الذين أعطوا المعنى أهمية خاصة، وقد أشار الجاحظ إلى مخالفته في هذه المسألة، فقال: «**وذهب الشيخ الشيباني إلى استحسان المعنى.**» ، وتكشف هذه الإشارة عن وجود تصور نقدي يولي المعنى مكانة متقدمة في تقويم الشعر، ويرى أن القيمة لا تتوقف عند جمال العبارة، بل تتصل بما تحمله من مضمون. فالمعنى هو أساس القول ومقصده، واللفظ وسيلة لإظهاره وإيصاله إلى المتلقي.

ومن هذا المنطلق، لا يكون حسن التعبير كافيًا لتحقيق الجودة إذا كان المعنى ضعيفًا أو خاليًا من الفائدة؛ لأن الشعر، إلى جانب قيمته الجمالية، يحمل أفكارًا وتجارب ودلالات تعكس رؤية الشاعر إلى الحياة والإنسان.

**2.العناية بقيمة المعنى في الموازنة النقدية**

تتجلى أولوية المعنى كذلك في بعض المواقف النقدية التي جعلت قيمة الفكرة وعمقها أساسًا في المفاضلة بين الشعراء، ومن ذلك بعض وجوه الموازنة بين أبي تمام والبحتري عند الآمدي؛ إذ لم يقتصر النظر في المفاضلة بينهما على جمال الصياغة، بل امتد إلى طبيعة المعاني ووضوحها وابتكارها، وما تحمله من دلالات.

كما تظهر العناية بالمعنى في الأحكام التي تتصل بعمق الفكرة، ودقة التصوير، وقوة الدلالة، وهي عناصر تجعل البيت الشعري جديرًا بالتأمل والتقدير، لا لمجرد عذوبة ألفاظه أو حسن إيقاعه، وإنما لما يقدمه من رؤية أو حكمة أو تصوير للتجربة الإنسانية.

ولا يعني هذا الاتجاه إهمال اللفظ أو إنكار دوره في بناء الشعر، وإنما ينطلق من أن الصياغة تكتسب قيمتها من قدرتها على أداء مضمون ذي قيمة. فاللفظ الجميل الذي لا يحمل معنى مؤثرًا قد يتحول إلى زخرف لغوي، بينما يمنح المعنى الجيد النص عمقه ومضمونه الفكري.

**ثالثًا: الاتجاه القائم على التكامل بين اللفظ والمعنى**

لم يقف النقاش النقدي عند المفاضلة بين اللفظ والمعنى، بل اتجه عدد من النقاد إلى تجاوز هذه الثنائية، مؤكدين أن جودة الشعر تتحقق باجتماع العنصرين، وأن ضعف أحدهما يؤثر في القيمة الفنية للنص كله. ويقوم هذا الاتجاه على النظر إلى اللفظ والمعنى بوصفهما عنصرين متكاملين، لا يستغني أحدهما عن الآخر في بناء التعبير الشعري.

**.1ابن قتيبة: جودة الشعر في ائتلاف اللفظ والمعنى**

لم يمنح ابن قتيبة الدينوري الأولوية المطلقة لأحد طرفي القضية، بل رأى أن جودة الشعر تتحدد بحسن لفظه ومعناه معًا، وأن اختلال أحدهما يؤثر في القيمة الفنية للنص. وقد تجلى موقفه في تقسيمه الشعر إلى أربعة أضرب، يقول:

**«ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه» .**

**«وضرب منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى.»**

**«وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه.»**

**«وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه.»** يكشف هذا التقسيم عن دقة ابن قتيبة في التمييز بين مستويات الجودة الشعرية؛ فقد يجتمع حسن اللفظ وجودة المعنى، فيبلغ الشعر أعلى مراتبه، وقد يحسن اللفظ دون أن يحمل معنى ذا فائدة، أو يكون المعنى جيدًا لكن الألفاظ تقصر عن أدائه، وقد يضعف الطرفان معًا. ومن ثم فإن قيمة النص لا تتحقق بجمال العبارة وحده، ولا بجودة الفكرة منفردة، وإنما بالتناسب بينهما وقدرة اللفظ على أداء المعنى في صورة فنية محكمة.

وتكمن أهمية هذا التصور في أنه يجعل اللفظ والمعنى معيارين متكاملين في الحكم على الشعر؛ فكل منهما يؤثر في الآخر، ولا يمكن أن يتحقق كمال العمل الشعري إذا اختل أحدهما.

**.2ابن طباطبا العلوي: التناسب بين اللفظ والمعنى**

يتجاوز ابن طباطبا مجرد الموازنة بين اللفظ والمعنى إلى التأكيد على ضرورة التناسب بينهما، إذ يرى أن لكل معنى ألفاظًا تلائمه وتكشف عن قيمته، وأن جمال أحد الطرفين قد يتأثر سلبًا إذا لم يحسن الائتلاف بينهما. يقول: **«فمن الأشعار أشعار محكمة متقنة أنيقة الألفاظ حكيمة المعاني عجيبة التأليف، إذا نقضت وجعلت نثرًا لم تبطل جودة معانيها، ولم تفقد جزالة ألفاظها. ومنها أشعار مموهة مزخرفة عذبة، تروق الأسماع والأفهام إذا مرت صفحًا، فإذا حصلت وانتقدت بهرجت معانيها وزيفت ألفاظها.»**

يميز ابن طباطبا هنا بين الشعر المحكم الذي يجمع جودة المعنى وجزالة اللفظ وحسن التأليف، والشعر الذي يقوم على الزخرفة الظاهرة دون أن يستند إلى قيمة فنية حقيقية. فقد تستميل بعض الأشعار المتلقي بعذوبة ألفاظها وجمال إيقاعها، لكنها تفقد قيمتها عند التأمل والتمحيص، بسبب ضعف معانيها وافتقار بنائها إلى الإحكام.

ويؤكد هذا الترابط بقوله: **«وللمعاني ألفاظ تشاكلها، فتحسن فيها وتقبح في غيرها، فهي لها كالمعرض للجارية الحسناء، التي تزداد حسنًا في بعض المعارض دون بعض. وكم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي قد برز فيه، وكم من معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه.»**

تتجلى في هذا النص رؤية نقدية دقيقة لطبيعة العلاقة بين اللفظ والمعنى؛ إذ يشبه ابن طباطبا اللفظ بالمعرض الذي يظهر فيه المعنى، ويؤكد أن المعنى الحسن قد يفقد جماله إذا صيغ في ألفاظ لا تلائمه، كما أن اللفظ الجميل قد يفقد قيمته إذا حمل معنى ضعيفًا. ولذلك تتحقق جودة الشعر من خلال التناسب بين العنصرين، بحيث يكون اللفظ ملائمًا للمعنى، ويكون المعنى جديرًا بالصورة اللفظية التي يقدم بها.

### 3.عبد القاهر الجرجاني: النظم وتجاوز الفصل بين اللفظ والمعنى

يمثل عبد القاهر الجرجاني مرحلة متقدمة في معالجة هذه القضية؛ إذ تجاوز البحث في المفاضلة بين اللفظ والمعنى إلى دراسة طبيعة العلاقة التي تجمعهما داخل التركيب. فلم يجعل جمال الكلام راجعًا إلى الألفاظ منفردة، ولا إلى المعاني المجردة، وإنما إلى طريقة انتظام الألفاظ بعضها مع بعض، وما ينشأ عن ذلك من علاقات نحوية ودلالية.

يقول: **«ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله.»**

يفيد هذا القول أن القيمة الفنية لا تتحقق بمجرد اختيار الكلمات الجميلة أو امتلاك المعاني الجيدة، وإنما بطريقة تأليف الكلمات وتنظيم العلاقات بينها. فالكلمة لا تحقق قيمتها الفنية بمعزل عن موقعها وعلاقتها بالكلمات الأخرى، والمعنى لا يتشكل في صورته الأدبية إلا من خلال هذا التنظيم.

وبذلك نقل الجرجاني القضية من ثنائية المفاضلة بين اللفظ والمعنى إلى تصور أكثر عمقًا، يجعل جمال التعبير نتيجة للتفاعل بينهما داخل البناء اللغوي. فالمزية ليست في اللفظ وحده ولا في المعنى منفردًا، وإنما في النظم الذي تتآلف من خلاله الألفاظ لتؤدي المعاني على وجه مخصوص.

**خاتمة**

يتضح من خلال هذه المواقف أن قضية اللفظ والمعنى شغلت حيزًا مهمًا من التفكير النقدي عند المشارقة، وأفرزت ثلاثة اتجاهات أساسية: اتجاهًا دعا إلى أولوية اللفظ، ومثّله الجاحظ وأبو هلال العسكري، ورأى أن المزية الشعرية تكمن في حسن الصياغة وجودة السبك؛ واتجاهًا أكد أولوية المعنى، كما يظهر في موقف أبي عمرو الشيباني وفي بعض وجوه الموازنة النقدية؛ واتجاهًا ثالثًا قام على التكامل بين اللفظ والمعنى، ومثّله ابن قتيبة وابن طباطبا، ثم تطور هذا التصور عند عبد القاهر الجرجاني إلى نظرية النظم.

وتكشف هذه الاتجاهات، على اختلافها، عن تطور الوعي النقدي بطبيعة الإبداع الشعري؛ إذ لم تعد القضية مجرد تحديد العنصر الأهم في بناء الشعر، بل أصبحت بحثًا في كيفية تحقق الجمال من خلال تفاعل المضمون مع الصياغة. فاللفظ لا يستقل بجماله عن المعنى الذي يؤديه، والمعنى لا يظهر في صورته الفنية إلا من خلال اللفظ الذي يحتضنه، ومن ثم فإن جودة النص الشعري تتأسس على حسن الاختيار والتأليف والتناسب بينهما.

## المحاضرة التاسعة: قضية اللفظ والمعنى عند النقاد المغاربة

### تمهيد

لم تكن قضية اللفظ والمعنى حكرًا على النقاد المشارقة، بل حظيت باهتمام واضح لدى نقاد الغرب الإسلامي، الذين تناولوا إشكالية العلاقة بين الصياغة اللفظية والمضمون الدلالي، واستعادوا في ذلك جملة من الآراء النقدية السابقة، وأضافوا إليها تصورات تكشف عن تطور وعيهم بطبيعة العمل الشعري ومقومات جودته. وقد تباينت مواقفهم بين من مال إلى تقديم اللفظ والعناية بجودة الصياغة، ومن أكد ضرورة التناسب بين اللفظ والمعنى، ومن تجاوز المفاضلة بينهما إلى النظر في علاقتهما ببقية عناصر البناء الشعري، ولا سيما التخييل والتأثير في المتلقي.

وتبرز في هذا السياق آراء عبد الكريم النهشلي، وابن رشيق القيرواني، وحازم القرطاجني، بوصفها نماذج تكشف عن تنوع المقاربة النقدية لهذه القضية في المغرب الإسلامي.

### أولًا: عبد الكريم النهشلي وأولوية الصياغة اللفظية

يكشف موقف عبد الكريم النهشلي من قضية اللفظ والمعنى عن عناية واضحة بالجانب اللفظي في صناعة الشعر، فقد وصفه ابن رشيق بأنه «**كان يؤثر اللفظ على المعنى كثيرًا في شعره وتآليفه**». ويتجلى هذا الميل في قوله: «**الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة من المعاني اللطيفة عن الكلام الجزل**».

ويفهم من هذا القول أن النهشلي يمنح اللفظ الجزيل قيمة فنية تتجاوز مجرد نقل المعنى؛ إذ يرى أن قوة العبارة وجمال الصياغة قد يرفعان من قيمة المعنى، في حين لا تستطيع المعاني اللطيفة وحدها أن تعوض ضعف التعبير. وهو بذلك يلتقي مع الاتجاه الذي يجعل التفاضل بين الشعراء قائمًا على جودة الأداء وحسن السبك، لا على المعاني في ذاتها، ما دامت هذه الأخيرة مشتركة ومتداولة بين الناس.

ولا تنحصر عناية النهشلي باللفظ في الجزالة وحدها، بل تتصل بمفهوم أوسع هو التجويد والتحسين، إذ يقر باختلاف الأذواق باختلاف الأزمنة والبلدان، لكنه لا يجعل ذلك مانعًا من وجود معايير فنية تحفظ للشعر جودته. يقول في هذا السياق إن الشعراء الحذاق «**تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله**»، ثم يحدد اختياره في التجويد والتحسين الذي «**يبقى غابره على الدهر ويبعد عن الوحشي المستكره، ويرتفع عن المولد المنتحل، ويتضمن المثل السائر والتشبيه المصيب والاستعارة الحسنة**».

ويكشف هذا التصور عن أن التحسين عند النهشلي ليس مجرد عناية بالمحسنات اللفظية، وإنما هو إحكام للصناعة الشعرية، ومراعاة لما يستحسنه الذوق، مع تجنب التكلف والغرابة والابتذال. وعلى الرغم من ميله إلى تقديم اللفظ، فإنه لا يلغي قيمة المعنى، بل يربط جودة الشعر بما يتضمنه من معانٍ حسنة، وصور وتشبيهات واستعارات موفقة.

أما تصوره للعلاقة بين اللفظ والمعنى فيتضح من قوله: «**المعنى مثال، واللفظ حذو، والحذو يتبع المثال فيتغير بتغيره ويثبت بثباته**». فاللفظ هنا تابع للمعنى، يتشكل وفق صورته ومقتضياته، وهو ما يكشف عن إدراكه لوجود علاقة بين الطرفين لا تقوم على الانفصال التام. ومن ثم فإن ميل النهشلي إلى أولوية اللفظ في الصناعة الشعرية لا يعني إغفاله للمعنى، وإنما يعبر عن اهتمامه بالكيفية التي يتحول بها المعنى إلى صياغة فنية.

**ثانيًا: ابن رشيق القيرواني والتكامل بين اللفظ والمعنى**

أفرد ابن رشيق القيرواني لهذه القضية بابًا خاصًا في كتابه، عنوانه «باب في اللفظ والمعنى»، عرض فيه اختلاف النقاد والشعراء حول العنصر الذي تتحقق به المزية الشعرية. فذكر أن منهم من يؤثر المعنى على اللفظ، ومنهم من يقدم اللفظ عليه، قبل أن يعرض تصوره الخاص الذي يقوم على ضرورة التلازم بينهما.

فأما الذين آثروا المعنى على اللفظ، فيذكر أنهم يطلبون صحة المعاني ولا يبالون بما قد يلحق الألفاظ من هجنة أو قبح أو خشونة، ويورد في هذا السياق ابن الرومي وأبا الطيب المتنبي ومن شاكلهما. ويكشف هذا الاتجاه عن تقديم القيمة الدلالية للمعنى، ولو لم تبلغ الصياغة اللفظية الدرجة نفسها من الجزالة والجمال.

أما الذين آثروا اللفظ على المعنى، فيرى ابن رشيق أنهم أكثرية النقاد والشعراء، وينقل عن بعض الحذاق قولهم: «**اللفظ أغلى من المعنى ثمنًا وأعظم قيمة وأعز مطلبًا؛ فإن المعاني موجودة في طباع الناس، يستوي الجاهل فيها والحاذق، ولكن العمل على جودة الألفاظ وحسن السبك وصحة التأليف.**»

ويتفق هذا الرأي مع الاتجاه الذي يمثله الجاحظ في تقديم الصياغة اللفظية، باعتبار أن المعاني متداولة بين الناس، وأن التفاضل الحقيقي يكون في طريقة التعبير عنها، وحسن سبكها وتأليفها. غير أن ابن رشيق لا يقف عند حدود عرض هذه المواقف، بل يتبنى تصورًا يرفض الفصل بين اللفظ والمعنى، ويجعل العلاقة بينهما شبيهة بالعلاقة بين الروح والجسم، فيقول: «**اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه ويقوى بقوته. فإذا سلم المعنى واختلّ بعض اللفظ كان نقصًا للشعر وهجنة عليه [...] وكذلك إن ضعف المعنى واختلّ بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ [...] فإن اختلّ المعنى كله وفسد بقي اللفظ ميتًا لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع [...] وكذلك إن اختلّ اللفظ جملة وتلاشى لم يصحّ له معنى؛ لأنّا لا نجد روحًا في غير جسم البتة**» .

تتأسس رؤية ابن رشيق، وفق هذا التشبيه، على التلازم والتأثير المتبادل بين الطرفين؛ فاللفظ لا يستقيم من دون معنى يمنحه الحياة، والمعنى لا يتحقق في النص الشعري إلا من خلال لفظ يكشف عنه ويمنحه صورته الفنية. ولذلك فإن اختلال أحدهما ينعكس بالضرورة على الآخر، ولا تتحقق جودة الشعر بمجرد سلامة المعنى أو جمال اللفظ منفردًا، وإنما باجتماعهما وتناسبهما.

ويعمق ابن رشيق هذا التصور من خلال تشبيه البيت الشعري بالبيت المعماري، فيقول: «**والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية: قراره الطبع، وسمكه الرواية، ودعائمه العلم، وبابه الدربة، وساكنه المعنى، ولا خير في بيت غير مسكون.**» ويجعل هذا التشبيه من المعنى

العنصر الذي يمنح البناء الشعري وظيفته وقيمته؛ فكما لا تتحقق فائدة البيت المعماري بمجرد إحكام بنائه وزخرفته ما لم يكن مسكونًا، لا يكتمل البيت الشعري بمجرد جودة ألفاظه وإحكام صناعته ما لم يتضمن معنى يبعث فيه الحياة. ومن هنا تتضح أهمية المضمون في تصور ابن رشيق، دون أن يعني ذلك التقليل من قيمة الصياغة اللفظية.

ويؤكد موقفه من خلال حديثه عن خصائص الشعر العربي، إذ يرى أن العرب لم تكن تنظر في شعرها إلى مجرد التجنيس والمطابقة والمقابلة، وإنما كان اهتمامها منصبًا على «**فصاحة الكلام وجزالته، وبسط المعنى وإبرازه، وإتقان بنية الشعر، وإحكام عقد القوافي، وتلاحم الكلام بعضه ببعض.**»

ويكشف هذا القول عن اتساع مفهوم الجودة الشعرية عند ابن رشيق؛ فهي لا تتوقف عند جمال الألفاظ أو قيمة المعاني، بل تشمل إحكام البناء وتلاحم أجزائه، بما يجعل النص وحدة فنية متماسكة. وبذلك يتخذ موقفه طابعًا تكامليًا، يجمع بين سلامة المعنى وجودة اللفظ وحسن التأليف.

**ثالثًا: حازم القرطاجني والتناسب بين اللفظ والمعنى والتخييل**

يمثل حازم القرطاجني مرحلة متقدمة في معالجة قضية اللفظ والمعنى، إذ لم ينشغل بالمفاضلة بينهما بقدر اهتمامه بكيفية انتظامهما داخل البناء الشعري، وبالدور الذي يؤديه هذا الانتظام في تحقيق الأثر الفني. فقد اتجه إلى النظر في القصيدة بوصفها تركيبًا تتفاعل فيه المعاني والصور والأساليب والألفاظ، ولا تتحقق جودته إلا بتناسب هذه العناصر وانسجامها.

ويكشف تصوره لطبيعة العلاقة بين اللفظ والمعنى عن وعيه بوظيفة اللغة في نقل الصورة الذهنية إلى المتلقي، إذ يقول: «**إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان [...] فإذا عبر عن تلك الصورة الذهنية الحاصلة عن الإدراك، أقام اللفظ المعبر به هيئة تلك الصورة في أفهام السامعين وأذهانهم.**»

يفسر هذا القول العلاقة بين الطرفين من خلال عملية إدراكية وتعبيرية متكاملة؛ فالمعنى يتشكل أولًا في الذهن بوصفه صورة عن الأشياء، ثم يأتي اللفظ ليقيم هذه الصورة في ذهن السامع. وبذلك لا يكون اللفظ مجرد وعاء خارجي للمعنى، بل أداة فاعلة في تشكيل صورته وإيصالها، كما لا يكون المعنى منفصلًا عن الصياغة التي تمنحه وجوده في الخطاب.

ويؤكد حازم أهمية التناسب بين المادة المعنوية والصياغة اللفظية، فيرى أن أفضل المعاني الشعرية ما اتصف بالصدق والشهرة، وأن أحسن الألفاظ ما اتصف بالعذوبة من غير ابتذال في الاستعمال. ويقول: «**لقد تبين أن أفضل المواد المعنوية في الشعر ما صدق وكان مشهورًا، وأحسن الألفاظ ما عذب ولم يبتذل في الاستعمال، وكلاهما ليس بواجب على الشاعر لزومه بل مؤثرًا حيث يمكن ذلك.**»

ويستفاد من هذا الرأي أن حازمًا لا يضع شروطًا جامدة للمعنى أو اللفظ، وإنما يدعو إلى اختيار ما يلائم المقام والغرض الشعري؛ فالمعنى ينبغي أن يكون مناسبًا ومؤثرًا، واللفظ ينبغي أن يتصف بالعذوبة والابتعاد عن الابتذال. وتكمن المزية في قدرة الشاعر على تحقيق الانسجام بينهما، لا في الانتصار لأحدهما على حساب الآخر.

ولا يقف هذا التناسب عند حدود العلاقة الثنائية بين اللفظ والمعنى، بل يمتد إلى بناء الصورة الشعرية والتخييل. فحازم ينظر إلى الشعر باعتباره صناعة تقوم على تشكيل المعاني في صور وأساليب قادرة على التأثير في المتلقي. ولذلك فإن جودة الصورة لا تتحقق بمجرد جدة المعنى أو جمال العبارة، وإنما بمدى التناسب بين الصورة المتخيلة والتركيب اللغوي الذي يعبر عنها، بحيث تأتي الألفاظ ملائمة لما يراد إحداثه من أثر.

ومن هنا تتضح أهمية إسهامه النقدي؛ فقد وسّع مجال النظر في قضية اللفظ والمعنى، وربطها بوحدة البناء الشعري وبعملية التلقي، فلم يعد السؤال متعلقًا بأيهما أولى بالتقديم، بل بكيفية تآلفهما داخل النص لتحقيق التخييل والتأثير.

**خاتمة**

تكشف مواقف النهشلي وابن رشيق وحازم القرطاجني عن تنوع المقاربات النقدية لقضية اللفظ والمعنى عند المغاربة. فقد مال النهشلي إلى إبراز قيمة اللفظ والجزالة وجودة الصياغة، وجعل التجويد والتحسين أساسًا في صناعة الشعر، بينما تجاوز ابن رشيق المفاضلة بين الطرفين، مؤكدًا تلازمهما من خلال تشبيهه اللفظ بالجسم والمعنى بالروح. أما حازم القرطاجني فقد وسّع أفق القضية، وربط التناسب بين اللفظ والمعنى ببناء الصورة الشعرية والتخييل والتأثير في المتلقي.

وبذلك لم تعد قضية اللفظ والمعنى مجرد مفاضلة بين عنصرين من عناصر الشعر، بل أصبحت مدخلًا لفهم طبيعة البناء الشعري، وكيفية انتظام مكوناته، وتحقيقه لقيمته الجمالية والتأثيرية.